أثر التعاون والتعايش السلمي عند الإمام علي (عليه السلام) في التنمية الاقتصادية

م. د. عبدالوهاب رشيد عبداللطيف الجنابي
وزارة التربية
مديرية تربية محافظة صلاح الدين

الملخص

إن من المفاهيم التي ركّز عليها الشرع الحنيف، هو مفهوم التعاون والتعايش السلمي حتى عُد مبدأً من المبادئ، فأولاها عناية ورعاية في معالجة التنوع العقدي والاختلاف الديني، وكان للحضور المبارك والفعال لشخص المصطفى (عليه أفضل الصلاة والسلام) دورا مباشرا في تطبيق مفهوم العيش والسلم المجتمعي على مستوى التنظير والتطبيق، وأنه دين لم يأت لقوم دون قوم، ولم يختص بوقت معين أو مكان محدد.

وكان الإمام علي (كرم الله وجهه) خليفة الرسول (صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم) يمثل مدرسة في الامور الفقهية ومن كل ما يسير عجلة الحياة والحكم، وكانت موضوعًا لإفادة المفكرين عبر التاريخ فقد أمر الله عباده المؤمنين بالتعاون لتحقيق الخير على مبدأ خير الناس أنفعهم للناس.

حين نقرا سيرة أمير المؤمنين علي (عليه السلام) نجد أنه كان مهتما بتطوير حياة أبناء الأمة، وتنميتها في مختلف المجالات، وكان مهتماً بالتنمية الاقتصادية، ولم يكن مجرد زعيم ديني يعنيه نشر العقيدة فحسب، ولا مجرد حاكم سياسي يهمه توطيد سلطته وحكمه، بل كان صاحب مشروع حضاري يستهدف إسعاد الإنسان، ليتمتع بحياة كريمة، ويتجه إلى الفاعلية والإنتاج.

لذا وقع اختياري العنوان أعلاه، وقد اقتضت طبيعة البحث أن يأتي في مطلبين: الأول: في مفهوم التعاون والتعايش السلمي عند امير المؤمنين علي (عليه السلام) والثاني: في دوره في بناء الانسان وتحرير له، وتطوير لكفاءته، وتنميتها من أجل بناء الطاقة الانتاجية القادرة على العطاء المستمر، واعتمدت الدراسة النظرة التحليلية في عرض المادة وتبويبها بهدف فهم الأحداث للوصول الى حقائق أكثر علمية ودقيقة حول أثر التعاون والتعايش السلمي عند الإمام علي(رضي الله عنه) في تنمية اقتصاد الدولة في الوقت الذي تم اعتماد على العديد من المصادر والمراجع المتنوعة، التي يمكن الاطلاع عليها في قائمة المصادر والمراجع.

Al Malweah for Archaeological and Historical Studies, Vol 8, Issue 26, Nov 2021
P-ISSN: 2413-1326 \ E-ISSN: 2708-602X

The impact of cooperation and peaceful coexistence of Imam Ali (peace be upon him) on economic development

Dr. Abdulwahab Rashid Abdullatif Al-Janabi
Ministry of Education
Salah al-Din Education Directorate

Abstract

One of the concepts that Al-Sharaa Al-Hanif has focused on is the concept of cooperation and peaceful coexistence until it was considered one of its principles, the first of which is care and care in dealing with the diversity of the nodes and religious differences.

Imam Ali the caliph of the Prophet represented an integrated school from a doctrinal point of view and from everything that follows life and governance, and was the subject of the benefit of intellectuals throughout history.

When we read the biography of Amir Al-Mu'minin Ali (peace be upon him) we find that he was interested in the development of the life of the nation's people, and its development in various fields, and was interested in economic development, and was not only a religious leader interested in spreading the faith, not only a political ruler interested in consolidating his power and rule, but he was the owner of a civilized project aimed at happiness the human being, to enjoy a decent life, and to move to efficiency and production.

Therefore, I chose the title above, and the nature of the research required to be in two demands: the first: in the concept of cooperation and peaceful coexistence with the Prince of believers Ali (peace be upon him) and the second: in the role of the Prince of believers Ali (peace be upon him) in the construction and liberation of man, and the development of his efficiency, and development in order to build productive capacity capable of continuous giving, and adopted the analytical study in the presentation of the material and its tabulation in order to understand the events to reach more scientific and accurate facts about the impact of cooperation and peaceful coexistence at Imam Ali in the economic development of the economic development, in the economic development of the economic development of the At the time i was counted on Many sources and references can be found in the list of sources and references.

The source of the legitimacy of the authority of Imam Ali is that he is authorized by the ummah to reform its administrative and economic affairs in general, i.e. any objector or rejection of the imam's decisions or legislation, It is a violation of the will of the nation that authorized Imam

Ali (peace be upon him) the caliph of the Prophet(peace be upon him), especially since he came to power through the allegiance of a broad mass base, and the leading figure with several social qualities, most notably his rise from Quraysh, Bani Hashim and his kinship with the Prophet(peace be upon him), and his marriage to him through his marriage to Fatima al-Zahra (peace be upon them), and his early Islam and understanding in Religion, and due to its role in Islamic society since the beginning of the Islamic da'wa, as well as its influence on the data of the Islamic religion, which contributed to its dissemination, defense and social and economic stabilization, and these whole things were manifested.

المقدمة

إن مصدر شرعية سلطة الإمام علي (عليه السلام) أنه مخول من الأمة لإصلاح شؤونها الإدارية والاقتصادية عموما، أي إن أي معترض أو رافض لمقررات أو تشريعات الإمام، إنما يعد متجاوزا على إرادة الأمة التي خولت الإمام علي (عليه السلام) خليفة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، ولاسيما أنه وصل الى سدة الحكم عن طريق البيعة ذات القاعدة الجماهيرية الواسعة، والشخصية القيادية التي تحمل صفات اجتماعية عدة أبرزها انحداره من قريش، بني هاشم وقرابته من الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم)، ومصاهرته له عبر زواجه من فاطمة الزهراء (عليهما السلام)، وإسلامه المبكر وتفقهه في الدين، وبحكم دوره في المجتمع الإسلامي منذ بداية الدعوة الإسلامية، فضلاً عن تأثره بمعطيات الدين الإسلامي الذي ساهم في نشره والدفاع عنه وتثبيته اجتماعيا واقتصاديا، وهذه الأمور برمتها تجلت في شخصية الإمام علي (عليه السلام).

وتعود اهمية الدراسة الى دور التعاون بين شرائح المجتمع المختلفة ونشر روح المحبة بين مختلف اطياف المجتمع لكافة قومياتهم واديانهم، وتهدف الدراسة توصيح أثر التعاون والتعايش السلمي في تطور الشعوب والعيش بسلام وطمأنينة والتركيز على دور الخلفاء الراشدين ممثل بالخليفة امير المؤمنين الامام علي عليه السلام في ترسيخ اسس العيش الكريم وايجاد مجتمع متعاون يحب بعضه الاخر يسوده العدل والانصاف، وقد تضمنت الدراسة مبحثين تناول المبحث الاول مفهوم التعاون والتعايش السلمي عند الامام علي عليه السلام، وتناول المبحث الثاني دور الامام علي عليه السلام في التنمية الاقتصادية فصلا عن الخاتمة التي تضمنت اهم النتائج التي توصلت اليها الدراسة.

المبحث الأول:- مفهوم التعاون والتعايش السلمي عند امير المؤمنين علي (عليه السلام):

التعاون اشتراك شخصين أو أكثر في أداء عمل ما، بحيث يعمل الفرد لمصلحة الجماعة وتعمل الجماعة لمصلحة الفرد، ويستفيد الواحد من عمل الجماعة، وتستفيد الجماعة من عمل الواحد، وذلك لجمع موارد كل فرد وقدرته مع موارد وقدرة الآخرين وتنسيقها لتصبح مجهودا واحدا بغية الوصول إلى نتائج يسعي إليها مجموعهم، على مبدأ خير الناس أنفعهم للناس.

وقد عبر الإمام علي (عليه السلام) عن ذلك الأثر في الاقتداء بالرسول والتحلي بصفاته عبر خطبته المسماة "القاصعة" إذ يقول: (وقد علمتم موضعي من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بالقرابة القريبة والمنزلة الخصيصة...))[١].

فالحاجة إلى التعاون والتعايش موجودة أينما وجدت علاقة بين طرفين، وهي مسؤولية مشتركة يتحملها الطرفان غالباً، لذا دعم وتشريب مفهوم التعاون والتعايش حاجة ماسة وضرورية، ولاسيما مع تحول العالم إلى قرية صغيرة، ولأهمية الحقوق التي هي من حق الإنسان، بوصفها إحدى المعايير المهمة في تحديد العلاقات بين العالم ومعياراً لمدى قياس التطور السياسي والاجتماعي لها.

أما وصفنا للتعايش بالسهل الصعب، فيعود إلى سهولة التنظير والدعوة اليه، وصعوبة ممارسته ونشره وتكريسه، إضافة إلى أن التعايش من صنف النمو والازدهار، وعملية التعايش تبدأ من نظرة الانسان إلى نفسه وتقييمها، ومدى نجاحه في إقرار حالة التعايش الداخلي مع ذاته، فالتعايش يبدأ من دائرة الذات ويمتد ليؤثر بالاخر يقول سبحانه وتعالى:(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً)(النساء- ١).

لقد مدح الحبيب المصطفى (عليه وعلى وآله افضل الصلاة والسلام) المهاجرين عندما ذكروا له تعاونهم وتضامنهم وتقاسمهم الطعام عند الحاجة، فقال: "أنا منهم وهم مني"[٢]، وقال(صلى الله عليه وسلم) مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهروالحمى"[٣]، وكان الإمام علي (رضي الله عنه وكرم وجهه) موضعًا للاقتداء وتمسك بسنة النبي محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) وإجادته بالقضاء وشهرته به[٤].

لقد شجع الناس على الجهر بآرائهم السياسية، وأن لا يكون لهم ترددا في الاعتراض على الخطأ أمام الحاكم، وأن لا يتعاملوا مع الحاكم بمنطق التملق . في قوله:(فَلا تُكَلِّمُونِي بِمَا

تُكَلَّمُ بِهِ الْجَبَابِرَةُ، ولا تَتَحَفَّظُوا مِنِّي بِمَا يُتَحَفَّظُ بِهِ عِنْدَ أَهْلِ الْبَادِرَةِ–أي عند الاشخاص الذين يغضبون– ولا تُخَالِطُونِي بِالْمُصَانَعَةِ –أي بالمجاملة– ولا تَظُنُّوا بِي اسْتِثْقَالاً فِي حَقٍّ ...)[٥].

وقد أعلن الإمام أمام الناس في مدينة الكوفة ضمانه لحقوق المعارضة، وعدم مضايقتهم اجتماعياً، والضغط عليهم اقتصادياً، وعدم استخدام العنف ضدهم، ما دامت معارضتهم سلمية لم يشهروا فيها السلاح [٦].

ولم يبدأ عليه السلام باستخدام القوة الشرعية لقتال معارضيه إلا بعد إن يأس من المحاورة مع خصومه وذلك لردعهم عن مطالبهم غير الشرعية، فجاءت "حرب الجمل–في البصرة ثم جاءت بعد أشهر "حرب صفين" وما تلاها من نشؤ فتنة الخوارج[٧]، فكانت معركة النهروان[٨]، وقد حاول الإمام علي(عليه السلام) وفقاً لهذه التداعيات إمضاء القوة الشرعية على استكراه واضطرار شديدين فكانت الحرب بين الفئتين، فكان ان باشر عليه السلام القيادة في الحرب كنوع أو فرع من التنظيم السياسي للمجتمع الإسلامي الذي يصب في النهاية الأمر في مجرى التنظيم الاجتماعي للمجتمع الإسلامي [٩]، بادر إلى اتخاذ جملة من الإصلاحات الضرورية التي كان لابد لإعادة الاقتصاد الإسلامي إلى طريقه القويم.

لقد عاد بسياسة العطاء إلى زمان النبي الكريم محمد(صلى الله عليه وعلى آله وسلم)، وأعنى المساواة في العطاء بين المسلمين العرب منهم والموالي، وقد أعلن ذلك في خطابه بعد استلامه الحكم بقوله: "ألا لا يقولن رجال منكم غدا قد غمرتهم الدنيا فاتخذوا العقار، وفجروا الأنهار، وركبوا الخيول الفارهة، واتخذوا الوصائف الرَّوقة، فصار ذلك عليهم عارا وشنارا إذا ما منعتهم ما كانوا يخوضون فيه، وأصرتهم إلى حقوقهم التي يعلمون فينقمون ذلك، ويستنكرون، ويقولون: حرمنا أبن أبي طالب حقوقنا"[١٠]، نعم كان المسلمون لهم عطاؤهم من بيت المال، إلا أن هذا العطاء لم يكن متساويا فيما بينهم، فقد كانت هناك ضوابط غير منسجمة والحياة الإسلامية التي أرادها الله في قوله:(وإن أكرمكم عند الله أتقاكم)(الحجرات– ١٣)، ورسوله في الحديث ((المسلمون تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم، ويجبر عليهم أقصاهم، وهم يد على من سواهم))[١١].

لذا وضع أمير المؤمنين علي (عليه السلام) شرطا أساسيا للعطاء، وهو: أن يكون الفرد مسلما حر، أما السابقة والقرابة والجهاد فهذه كلها أمور يثاب عليها الفرد المسلم عند الله تعالى، وعلى الرغم مما جوبه أمير المؤمنين علي من اعتراضات [١٢]، كان يرد عليهم بعبارته الخالدة " أتامروني أن أطلب النصر بالجور فيمن وليت عليه، والله ما أطور به ما سمر سمير، أي مدى الدهر) وما أم نجم في السماء نجما، لو كان المال لي لسويت بينهم، فكيف وإنما المال مال

الله"[١٣]، فقال لعبيد الله بن أبى رافع كاتبه: أبدأ بالمهاجرين فنادهم، وأعط كل رجل ممن حضر ثلاثة دنانير، ثم ثن بالأنصار فافعل معهم مثل ذلك، ومن يحضر من الناس كلهم ألأحمر والأسود فاصنع بهم مثل ذلك، ما قاله سهل بن حنيف: يا أمير المؤمنين هذا غلامى بالأمس، وقد أعتقته اليوم، فقال: نعطيه كما نعطيك، فأعطى كل واحد منهما ثلاثة دنانير، ولم يفضل أحدا على أحد، وعندما عاتبه بعض من الصحابة في ذلك، أجابهم بقوله: واما القسم والأسوة، فإن ذلك أمر لم أحكم فيه بادئ بدء، قد وجدت أنا وأنتما رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يحكم بذلك، وكتاب الله ناطق به، وهو الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، واما قولكما: جعلت فينا وما آفاءته سيوفنا ورماحنا، سواء بيننا وبين غيرنا، فقديما سبق إلى الإسلام قوم ونصروه بسيوفهم ورماحهم، فلم يفضلهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) في القسم، ولا آثرهم بالسبق"[١٤]، لقد كانت المؤاخاة التي نادى بها الإسلام على لسان النبي الكريم (علية افضل الصلاة والسلام) تمثيلا حيا وميدانيا لأسمى معاني التعايش السلمي، وذلك حين قدم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يثرب التي كان يسكنها اليهود الى جنب قبائل العرب التي كانت أشهرها قبيلتي الأوس والخزرج اللتان كانتا تتقاسمان نزاعا دام لسنوات طويلة منها يوم بعاث ويوم الدرك وغيرها[١٥]، فألف بين الاوس والخزرج، وانصهرا معا وشكّلا الأنصار الذين استقبلوا المهاجرين القادمين من مكة المكرمة، هربا من بطش عتاتها[١٦].

ولقد تعددت أشكال التعايش السلمي الذي كان يتمتع به الناس في ظل النظام الإسلامي العادل الذي كان يطبقه الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم)، اذ شمل النصارى ويهود المدينة وغيرهم ممن كان يجمعهم الزمان والمكان الواحد، لقد صرح الخطاب القرآني بعالمية الإسلام، وأنه الرحمة المتمثلة بشخصية الرسول الأعظم(صلى الله عليه وآله وسلم)المهداة الى العالم أجمع، وليس للعرب فحسب، قال تعالى: (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) (الأنبياء-١٠٧).

إن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) في وقت عقد مواثيق المؤاخاة بين المسلمين، سعى الى عقْد مواثيق المعاهدة بين المسلمين وغير المسلمين، وذلك حين وضع الصحيفة التي تضمنت الخطوات الأولى لدستور المدينة المنورة الذي رام من ورائه تنظيم الشؤون الاجتماعية لساكنيها من المسلمين وغير المسلمين، من خلال إبرام عقود الاخوة بين المسلمين أنفسهم، وعقود الموادعة بين المسلمين واليهود،[١٧]، ولا يخفي ما في ذلك من المسالمات الواضحة التي توضح الجانب الإنساني للشرع الحنيف، وقد كانت السيرة النبوية لسيد الكائنات زاخرة بأصناف التعامل السلمي مع اليهود وغيرهم، حيث يذكر الطبراني(ت٣٦٠هـ) أن النبي(صلى الله عليه وآله

وصحبه): ((كان إذا عاد يهودي أو نصراني قال: كيف أنت؟ فيقول: صالح، فيقول النبي (عليه الصلاة والسلام): جـعلك صالحا))[١٨]

وقد انطبعت تلك السجايا الكريمة على أهل بيته، فكانت سمة من سماتهم، وطبعا من شمائلهم، ومن هذا كان قرار الإمام العدول عن تمييز الناس في العطاء، والعودة إلى نظام المساواة، ويقول الامام علي عليه السلام، أيضاً: "الله الله في جيرانكم، فإنها وصية نبيكم ما زال يوصي بهم حتى ظننا أنه سيورثهم، إذ يُروى في الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب(عليهم السلام): ((أنّ جاره اليهودي انخرق جداره الى منزل الحسن، فصارت النـجاسة تنزل الى داره واليهودي لا يعلم بذلك فدخلت زوجته يوما فرأت النجاسة قـد اجتمعت في دار الحسن فأخبرت زوجها بذلك، فجاء اليهودي اليه معتذرا، فقال: أمرني جدي (صلى الله عليه وآله وسلم) بإكرام الجار)) [١٩]، وقوله عليه السلام: ((ألا وانما رجل من المهاجرين والأنصار من أصحاب رسول الله صلى عليه وسلم يرى أن الفضل له على من سواه لصحبته، فأن الفضل النير غدا عند الله، وثوابه وأجره على الله، وانما رجل استجاب لله وللرسول، فصدق ملتنا ودخل في ديننا، واستقبل قبلتنا، فقد استوجب حقوق الإسلام وحدوده، فأنتم عباد الله، والمال مال الله، يقسم بينكم بالسوية، لا فضل فيه لأحِد على أحِد، وللمتقين عند الله غدا أحسن الجزاء، وأفضل الثواب...، وما عند الله خير للأبرار))[٢٠]، وإذا أمعنا النظر في كلماته التي يقول فيها:((أن الله سبحانه فرض في أموال الأغنياء أقوات الفقراء، فما جاع فقير إلاّ بما متّع به غني، والله تعالى سائلهم عن ذلك))[٢١].

نعم كان ضمير الامام علي (عليه السلام) مقتنع بأن الناس سواسية في العطاء، وهذه القناعة لم تكن تعصبا لفئة دون فئة، أو قناعة شخص لم يخبر الأمور فاعتد برأيه، بل كان ايمانا راسخا برسالة السماء وبنبوة محمد(صلى الله عليه وسلم) ولم تقتصر هذه الفلسفة على العطاء بل امتدت إلى جانب أخر من أموال المسلمين، وهو النفقات التي خص الله تعالى بها اليتامى والمساكين وأبناء السبيل، وأعنى بها الزكاة، أن الهدف من فرض الزكاة لم يكن إجبار المكلفين على دفعها، بقدر ما كان إيجاد أواصر جديدة داخل المجتمع الإسلامي، تتمثل بالتآزر والتكاتف والشعور الإنساني والاجتماعي بالفقراء والمساكين، ولم يكن دفع الزكاة في شريعة الإسلام بلا عائد أوجب للمسلمين مقابل ذلك طهارة أموالهم، أي زيادة البركة والنماء فيها، كما أمر رسول الله صل الله عليه وسلم) بالصلاة عليهم والدعاء لهم، قال تعالى:(وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم)(التوبة–١٠٣) وهذه من الأمور المعنوية التي كان الفرد المسلم آنذاك يعتز بها، وكان يسارع إلى إخراج زكاة أمواله: لما تحقق له فوائد معنوية ومادية، أي إن المسلمين كانوا يؤدون الزكاة بطيب نفس، وصفاء سريرة، وامتثال لأمر الله، لذا نراه يكتب الى بعض جباة الزكاة كتابا يحمل

فلسفة الإمام علي للزكاة بقوله:("أنطلق على تقوى الله وحده لا شريك له، ولا تروعن مسلما، ولا تجتازن عليه كارها، ولا تأخذن منه أكثر من حق الله في ماله، فإذا قدمت علي الحي فأنزل بمائهم من غير أن تخالط أبياتهم، ثم أمض إليهم بالسكينة والوقار، حتى تقوم بينهم فتسلم عليهم، ولا تخدع بالتحية لهم..." [٢٢].

فالإمام علي(عليه السلام) يوصي بأن ينزل عامل الصدقات خارج القرى والأحياء، ثم يذهب بسكينة ووقار بعيدا عن مظاهر السلطة والتسلط والجبر والإكراه، وأن يؤدي تحية الإسلام دون نقص، لذا فهو يناغي الجانب الإيماني في نفس المسلم، ففي نظر أمير المؤمنين أن لا خير في أخذ المال بالقوة، لأن الهدف كما اسلفنا من الزكاة ليس إسعاف الفقراء فقط، بل الهدف الأسمى ترويض النفوس على البذل والعطاء حبا في الله المنعم[٢٣] هذه بعض النصوص التي تشير إلى منطلقات وركائز نظرية التعايش في الاسلام، وقد زرعاها ورعاها الرسول الأكرم صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين أيما رعاية كاملة وعظيمة للغاية..

فالعلامة الفرنسي جوستاف لوبون يقول:(أن مسامحة محمد لليهود والنصارى كانت عظيمة للغاية)، ويضيف روبرتسن في كتابه (تاريخ شارلكن) : (إن المسلمين وحدهم الذين جمعوا بين الغيرة لدينهم وروح التسامح نحو أتباع الأديان الأخرى)[٢٤].

والمعنى هنا إن الإمام علي عليه السلام قد حول علمه ومعارفه وتسامحه إلى واقع عملي [٢٥]، وذكر عنه رضي الله عنه وكرم وجهه انه: مرّ به شيخ كبير فاقد البصر يسأل الناس الصدقة فقال لهم: ما هذا؟ قالوا: نصرانى. فقال: استعملتموه حتى إذا كبر وعجز منعتموه، أنفقوا عليه من بيت المال [٢٦].

فالمواطنة كاملة وللجميع عند الامام، دون تمييز، والضمان الاجتماعي ومن بيت المال عام يشمل الكل، فالحاجة لابدّ وأن تسدّ مع حفظ الكرامة الانسانية.

ومما هو أكثر خصوصية، ويسلط الضوء على الممارسة والتطبيق في سيرة الإمام (عليه السلام) يمشي مع النصراني إلى قاضيه، ليتحاكم كأحد الرعيه، وقاضيه يقضي عليه غير مصيب، فلا يرفض عليه السلام الحكم!

روى ابن الأثير في التاريخ (الكامل) أن الامام علي (عليه السلام) وجد درعاً عند نصراني فأقبل إلى شريح قاضيه وجلس إلى جانبه يخاصم النصراني مخاصمة رجل من رعاياه، وقال: إن هذه درعى لم أبع ولم أهب، فقال للنصرانى: ما يقول أمير المؤمنين؟ فقال النصراني: ما الدرع إلا درعي، وما أمير المؤمنين عندي إلا بكاذب، فالتفت شريح إلى على (عليه السلام) فقال: يا أمير المؤمنين هل من بيّنة؟ قال: لا، فقضى شريح بها للنصرانى، فمشى هنيئة ثم أقبل

فقال: أما أنا فأشهد أن هذه أحكام النبيين، أمير المؤمنين يمشي بي إلى قاضيه، وقاضيه يقضي عليه! أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنّ محمداً عبده ورسوله، الدرع والله درعك يا أمير المؤمنين(٢٧)، هلْ رأى الشرق و الغرب نموذجاً كهذا؟

إنها قمّة الخضوع والورع والخوف من الله تعالى والامتثال لسيادة القانون، ولاستقلال القضاء ولمساواة الجميع أمام القضاء دون تمييز بسبب الدين أو الموقع أو المسؤولية أو.... وهلْ للتعايش طريق غير النمو والتجذّر والتأصّل في كنف ممارسات كهذه؟ يجيب شميلو على السؤال المتقدم قائلاً: إن علي بن أبي طالب عليه السلام إمام بني الانسان ومقتداهم، ولم ير الشرق والغرب نموذجاً يطابقه أبداً لا في الغابر ولا في الحاضر(٢٨).

ودعا عليه السلام الناس للتعاون فيما بينهم، والتطوع لخدمة بعضهم بعضاً، والاهتمام بمناطق الضعف والحاجة في المجتمع، بما نطلق عليه الآن العمل الأهلي التطوعي، كقوله في وصيته للحسنين(عليه السلام) : (أُوصِيكُمَا بِتَقْوَى اللَّهِ، وأَلا تَبْغِيَا الدُّنْيَا وإِنْ بَغَتْكُمَا، ولا تَأْسَفَا عَلَى شَيْءٍ مِنْهَا زُوِيَ عَنْكُمَا، وقُولا بِالْحَقِّ، واعْمَلا لِلأجْرِ، وكُونَا لِلظَّالِمِ خَصْماً، وِلِلْمَظْلُومِ عَوْناً. أُوصِيكُمَا وجَمِيعَ وَلَدِي وأَهْلِي ومَنْ بَلَغَهُ كِتَابِي بِتَقْوَى اللَّهِ...).

فالإمام علي– عليه السلام - يوصي مالك بالضمان في قوله:...الله الله – يا مالك– في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم– أي لا سبيل لهم لإدارة أمورهم– من المساكين – المسكين هو الذي أسكنه الفقر من الحركة– والمحتاجين– المحتاج هو صاحب الحاجة– وأهل البؤسى– أي شديدي الفقر– والزمنى– أي ذوي الأمراض والعاهات التي تمنع عن العمل–، فإن في هذه الطبقة قانعاً– أي سائلاً – ومعترّاً – أي متعرّضاً للعطاء بلا سؤال– واحفظ لله ما استحفظك من حقّه فيهم، واجعل لهم قسماً من بيت مالك ،وقسماً من غلاّت صوافي الإسلام في كلّ بلد، فإنّ للأقصى منهم مثل الذي للأدنى– أي دون تمييز في ذلك الضمان بين المركز والمحيط أو بين العاصمة والمحافظات أو بين المدينة والأرياف– ،فلا يشغلنك عنهم بطر– أي طغيان الملك والنعمة– ، فإنك لا تعذر– أي لا يقبل الله ولا الناس عذرك .

كما دعا الإمام إلى التعاون دعوة صريحة في عبارة نبيلة، حيث قال حين ودع المجاهدين في سبيل الله" وأي امرئ منكم أحسن من نفسه رباطة جأش"(٢٩) عند اللقاء، وإن رأى من اخوانه فشلاً ما ليذب عن أخيه بفضل نجدته التي فضل بها عليه، كما يذب عن نفسه، فلو شاء الله لجعله مثله"(٣٠).

وما أوصى به الإمام علي عليه السلام جنده ينبغي أن يستوصي به الناس في جميع المجالات، فالغني لو دبُ عن الفقير بفضل ماله الذي فضل عليه، والعالم لودب عن الجاهل

بفضل علمه الذي فضل به عليه لأنتصر جيشهم على معوقات الحياة الاقتصادية والاجتماعية ولتحقيق معنى التعاون، حيث مصلحة الفرد كمصلحة الجماعة، والإمام لايزال يلح في دعوته إلى التعاون، وأنه ليسوقها هنا في منطق واضح، وحجة لازمة[٣١]" أيها الناس انه لا يستغني الرجل، وإن كان ذا مال عن عشيرته ودفاعهم عنه بأيديهم وألسنتهم، ألا لا يعدلن أحدكم عن القرابة ويرى فيها الخصاصة[٣٢] أن يسدها بالذي لا يزيده إن أمسكه، ولا ينقصه إن أهلكه ومن يقبض يده عن عشيرته، فإنما تقبض عنه أيد كثيرة[٣٣] ويقول: أيضا "والذي وسع الأصوات، ما من أحد أودع قلبا سرور إلا وخلق الله من ذلك السرور لطفاً فإذا نزلت به نائبة جرى إليها كالماء في انحداره، حتى يطردها عنه كما تطرد عير الإبل"[٣٤].

إن الإمام علي عليه السلام في معرض حديثه عن تعاون الافراد في المجتمع، يجعلهم وسيلة وغاية للتنمية، فدعوته ذوي الفضل من المال لتحرير ذوي الحاجات من الفقر، يجعلهم عنصراً انتاجياً في المجتمع، من ناحية وزيادة إنفاقهم الاستهلاكي من ناحية أخرى، وهذا يحقق جهازاً تمويلياً للتنمية يتمثل في صورة تحقيق التعاون بين أفراد المجتمع. بإنفاق الفضل من المال الذي لاحق للفرد باكتنازه بل يجب عليه أن يتلمس به مصالح الجماعة.

ويبدو هذا الأمر جلياً من موقف الإمام علي عليه السلام من كنز المال، حيث نص على أربعة آلاف درهم نفقة وما دونها كنز" ولا يتحقق منع الكنز بإخراج المال للفقراء والمساكين فحسب، وإنما ببناء الفرد مصنعاً من فضل ماله قد أنفق هذا الفضل كما لو قدمه للدولة لتنفقه على الفقراء[٣٥] ومن صور التعاون التي حض الإمام علي الناس على تحقيقها في المجتمع، الإقراض، عملاً بقوله تعالى (من ذا الذي يُقرض الله قرضاً حسناً) (البقرة- ٢٤٥).

يقول الإمام علي عليه السلام: وأغتنم من استقرضك في حال غناك، لجعل قضاء ذلك في عسرتك [٣٦] فيتضح أن الحاكم والرعية سواسية ولا يتحقق هذا إلا بنزول الوالي بنفسه واختلاطه بهم فسياسة إعطاء كل ذي حق حقه وإضافة الجهد إلى صاحبه تستقيم الأمور ويتحقق الرضا الشعبي عن سياسة الوالي، كما حث الإمام على الموازنة بين الزهد والعمل، فيعرف الزهد بقوله "الزهد كله بالتفرق بين كلمتين قال سبحانه(لكيلا تأسو على ما فاتكم ولا تفرحوا بما أتاكم) (الحديد-٢٣)، ومن لم يأس على الماضى ولم يفرح بالآتي، فقد أخذ الزهد بطرفيه[٣٧]، فالإمام ينظر إلى الزهد على أنه تمتع بالطيبات ضمن القيود الشرعية، هو عدم التعلق بالدنيا فإذا كانت الدنيا بين يدي المؤمن، وليست في قلبه فهو زهد، وإن كان غنياً ومتمتعا بنعم الله، وإذا دخلت الدنيا إلى قلبه، فليس بزهد وإن كان فقيراً، ويُعرف التعلق بالدنيا، بالفرح الشديد على إقبالها، وبالحزن الشديد على إدبارها[٣٨]" وفي الحادثة التي رواها العلاء بن الحارث بالبصرة، أذ ذهب

إلى أحد أصحابه يعوده فلما رأى سعة داره قال: ماكنت تصنع بسعة هذه الدار في الدنيا، وانت أليها في الأخرة أحوج؟ فرفع ذلك إلى الإمام علي فقال له: إن شئت بلغت الأخرة بها، فتقري بها الضيف وتصل فيها الرحم وتطلع منها الحقوق مطالعها، قال يا أمير المؤمنين: هذا أنت في خشونة ملبسك وفتونة مأكلك! قال ويحك إني لست كأنت، إن الله فرض على أئمة العدل أن يقدِّروا أنفسهم بضعفة الناس، كيلا يتبيَغ بالفقير فقره" أي يهيج به الألم فيهلكه، كما في قوله تعالى (قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين أمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة) (الأعراف– ٣٢).

فالإمام فسر هذه الأية أن الدنيا بما فيها من خيرات وما فيها من موارد، هي للذين آمنوا ولغيرهم ولكنها في الآخرة خالصة لهم، لأنهم لم يتمتعوا بها إلا بطاعة الله لئلا يتحقق فيهم قوله تعالى:(قل من حرم زينة الله) ومن تأمل في كلام الإمام علي وجده قد حفل بكثير من الدرر التي تحض على العلم وطلبه ومن ذلك: أنه خاطب كميلاً بقوله، ياكميل: العلم خير من المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال، والمال تنقصه النفقة، والعلم يزكو على الإنفاق وصنيع المال يزول بزواله، ياكميل: العلم دين يُدان به، وبه يكتسب الإنسان الطاعة في حياته، وجميل الأحدوثة بعد وفاته، والعلم حاكم والمال محكوم عليه"[٣٩].

أن العالم العامل بغير علمه، كالجاهل الذي يستفيق من جهله، وما أخذ الله على أهل الجهل أن يتعلموا، حتى أخذ على أهل العلم أن يُعلموا[٤٠] أذا دعا إلى الاهتمام بالعلم قبل الاهتمام بجمع المال، لان الأمة المسلمة، متى نهجت نهج التفكير العلمي الصحيح فإنها ستبتكر وتكشف عن طريق ووسائل متقدمة في الانتاج، عندئذ تتحقق البيئة المتكاملة للتنمية الاقتصادية، فبالنظر والتفكير العلمي والبحث، يكتشف الكثير من الحقائق التي تمكن من استغلال الموارد والقوى الطبيعية والانتفاع بها نحو تحسين وسائل العمل والانتاج اللازم لإشباع حاجات الانسان من السلع والخدمات ومن ثم تزداد الثروة وبهذا يكون الاهتمام بالعلم وسيلة لزيادة المال ونموه. وقد ركز الامام(عليه السلام)على مجموعة من المبادئ لتحقيق التعايش السلمي في داخل المجتمع الذي يحكمه والتي منها، التركيز على بناء المجتمع على وفق أسس التعاون والمحبة والأخوة الدائمة، روي عن أمير المؤمنين(عليه السلام) أنه قال: (عليك بإخوان الصدق، فأكثر اكتسابهم، فإنهم عدة عند الرخاء، وجُنة عند البلاء)[٤١]، إيماناً منه(عليه السلام) بأن ذلك يعد من أبرز الأسس التي يرتكز عليها المجتمع، وتخلق روح التعاطف والتوادد والرحمة والمحبة بين الناس، فقد لجأ الفكر التربوي عند الامام علي(كرم الله وجهه)، للعمل على إيجاد المجتمع المسلم المتعاون من خلال الاهتمام ببناء الإنسان أينما وجد، وفى مثل هذه الحالة، لا يحتاج المجتمع

إلى أكثر من نسيج يؤمِّن علاقة التعاون، وتوزيع الأعمال بين أعضاء المجتمع، ويؤمِّن لهم العدالة الاجتماعية، والحسم، والقضاء بعدل، في حالة تصادم المصالح، والعدوان، وتوفير التعليمات، والمجاملات الإنسانية التي تلطف جو التعامل الإنساني [٤٢].

ولا يوجد فرق عند الامام على عليه السلام أن يكون هذا الإنسان مسلماً أو نصرانياً، يجب أن تتوفر لكل سبل الحياة الكريمة، وحاجاته الأساس، وروي أنه: دخل الناس على أمير المؤمنين قبل أن يستشهد بيوم، فشهدوا جميعاً أنّه قد وفّرلهم فيئهم، وظَلَف عن دنياهم، ولم يرتش في إجراء أحكامهم، ولم يتناول من بيت مال المسلمين ما يساوي عقالاً، ولم يأكل من مال نفسه إلا قدر البُلغة، وشهدوا جميعاً أن أبعد الناس منهم بمنزلة أقربهم منه[٤٣].

المبحث الثاني:- دور امير المؤمنين علي (عليه السلام) في التنمية الاقتصادية:

التنمية من المفاهيم ذات المدلولات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية التي لا ترتبط بقطاع من المجتمع دون أخر، تعني التطور والنمو في مجالات متعددة احدها الزيادة المطردة في نمو الدخل الفردي خلال مدة محددة، وان الانسان هو هدف التنمية ووسيلتها، وتعني انبثاق حالة عقلية، ونفسية واجتماعية من شأنها أن تجعل النمو ممكنا[٤٤].

ويتطلب تقدم عملية التنمية الاقتصادية ضرورة انشاء التنظيم السياسي الممثل لصالح القوى صاحبة المصلحة الرئيسية في تنمية اقتصاد الدولة اذ يؤدي هذا التنظيم دوراً مهماً في تعبئة الجماهير لعملية التنمية الاقتصادية عن طريق خلق الوعي الانمائي وترسيخه وخلق ارادة التغير لدى الجماهير التي تحتاجها مسيرة التنمية البشرية[٤٥].

وإننا إذا ما نظرنا إلى موضوع (التنمية البشرية) من زاوية تاريخية، وجدنا ليس بذلك الموضوع الطارئ، مصطلح قديم، جديد، يتضح من خلال الآيات القرآنية إن الإنسان خلق محتاجاً لغيره في ما يقوته ويمونه في حالاته وأطواره من نعومة أظفاره إلى أشد كبره، والخالق سبحانه وتعالى، الذي خلق جميع ما في الكون للإنسان، وكل ما في الطبيعة مسخر له[٤٦] عملا بقوله: (ألم ترؤا أن الله سخر لكم ما في السماوات وما في الأرض) (لقمان -٢٠).

لقد كان أمير المؤمنين أبو الحسن رضي الله عنه مستشاراً أميناً في ظل الخلفاء الذين سبقوه، ومن تلك المشورات المالية التي بينها قوله: لعمر رضي الله عنه عندما سأل عما يصلح لي من بيت المال فقال علي رضي الله عنه: "غداء ، وعشاءٌ فأخذ عمر عنه بذلك"[٤٧].

وكان يقول لأصحابه في هذا الشأن إني سمعت رسول الله (عليه افضل الصلاة) يقول: لا يحل للخليفة من مال الله إلا قصعتان، قصعة يأكلها هو وأهله"[٤٨]. كان لعلي رضي الله عنه نفس الرأي في مغانم سواد العراق قال: (لولا آخر المسلمين ما فتحت قرية إلا وقسمتها بين

أهلها، كما قسم النبي صلى الله عليه وسلم خيبر جاء إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه مال فقسمه بين المسلمين واستشار الصحابة فأشاروا عليه إبقاء المال وأشار الامام علي كرم الله وجهه بتقسيم المال مثل فعل النبي (عليه افضل الصلاة) بتقسيم المال كله الذي قد جاءه من البحرين فأخذ عمر برأيه[٤٩].

وكان علي (عليه السلام) يسير في الناس بسيرة الحق لا يأخذه في الله لومة لائم ومراقبة عماله وبعث عليهم العيون والارصاد ليكون على علم بأخبارهم وسيرتهم ويحول دون ظلمهم وطغيانهم وليشعر الرعية والرعاة بأنه قائم على حسابهم مطلع على عملهم وسيرتهم.

فكان الإمام علي(ع) يشجع على التنمية الاقتصادية والزراعية فضلاً عن إلغاء المحسوبية والرشوة والطرق الملتوية في نظام الحكم الجديد واعتماده على المساواة وإلغاء الحواجز العنصرية في سبيل مجتمع متكامل.

لذا أهتم الامام علي عليه السلام باستنهاض الإنسان ليمارس دوره الفاعل في الحياة، وليفجر طاقاته الكامنة، وليتسلح بالطموح وعلو الهمة. وفي ما نقل من كلام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة وغيره من المصادر ثروة هائلة عظيمة على هذا الصعيد، ووضع سياسة الدولة في خدمة التنمية، وهذا ما تؤكده سيرة الإمام مع الشعب، وتوجيهاته للولاة والموظفين، ومن أبرزها واشملها عهده لمالك الأشتر حين ولاه مصر[٥٠]، واكتسب هذا العهد أهمية كبرى عبر عمر الإسلام المبارك وحظي باهتمام المسلمين ومصلحي الأمة، فهو يرسم الخط المستقيم للحكام وولاة الأمور ويشخص أهم المشاكل، ويتحسس برفق مواطن الألم في أوساط المجتمع ويصف لها الدواء الناجح.

ورد في أول هذا العهد: بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أمر به عبد الله عليٌ أمير المؤمنين مالك بن الحارث الأشتر في عهده إليه حين ولّاه مصر. جباية خراجها وجهاد عدوها واستصلاح أهلها وعمارة بلادها.

في هذا المقطع يبين أمير المؤمنين (عليه السلام) وظائف الحاكم الإسلامي وأهم ما يدور عليها رحى الحكم بالإسلام فمن المعلوم أن الحكم وسيلة لتحقيق حكم الله عزّ وجل ونشر العدالة الاجتماعية عبر نظام يرعى جميع الطبقات وينظم الحياة للدولة ويحل جميع مشاكلها، حيث يؤكد الإمام في فقرات هذا العهد على تطبيق العدل والمساواة بين المواطنين، وحفظ حقوقهم المادية والمعنوية، وإن اختلفت أديانهم وتوجهاتهم، يقول:(وأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ، والْمَحَبَّةَ لَهُمْ، واللُّطْفَ بِهِمْ، ولا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبُعاً ضَارِياً تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ، فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ: إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ، وإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ) [٥١] ويؤكد الإمام على أولوية التنمية وزيادة الإنتاج قائلاً: (ولْيَكُنْ

نَظَرُكَ فِي عِمَارَةِ الأَرْضِ أَبْلَغَ مِنْ نَظَرِكَ فِي اسْتِجْلابِ الْخَرَاجِ)[٥٢]، لأن ذلك يُدَركُ بالعمارة ومن طلب الخراج بغير عمارة أضر بالبلاد وأهلك العباد ولم يستقم أمره إلا قليلاً، فإن شكوا ثقلاً أو علة أو انقطاع شرب، أو إحالة أرض اغتمرها غرق، أو أجحف بها عطش، خفَفتَ عنهم بما ترجوا أن يصلح به أمرهم، فإن العمران محتمل ما حملته، وإنما خراب الأرض من إعواز[٥٣] وكان يدعو صاحب الارض ليستثمرها بنفسه، أو يغيره إجارة أو مزارعة فإن لم يفعل شيئا من هذا وعطلها حتى خربت، فإن عليا كان يبيح لأي فرد في دولة الإسلام أن يحييها، قال رجل لعلي أتيت أرضاً قد خربت فعجز عنها أهلها فكريت أنهارها وزرعتها قال علي كل هنيئا وانت مصلح غير مفسد، معمر غير مخرب[٥٤]، كما شجع احياء الارض الموات وتحجيرها، وبأقطاع الدولة أراضي للقادرين على الزراعة ممن لا يملكون أرضاً أو يملكون مساحات قليلة، وذلك مما يقع تحت يدها من الاراضي، وكان الإمامّ علي يشجع إحياء الأرض، ويقتدي بقول الرسول الكريم سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام في الحديث الشريف: "من أحيا أرضاً مواتا فهي له"[٥٥]" ومن حرص الإمام علي التوسع في استصلاح الأراضي الزراعة فإنه كان يحيز المزارعة محتجا بأن الرسول صلى الله عليه وسلم عامل أهل خيبر بلشطر، يقول صاحب المغني "كان الإمام علي يتعامل بها– أي المزارعة– فقد جاء رجل فوشى برجل وقال إنه أخذ أرضاً يصنع بها كذا وكذا فقال الرجل: أخذتها بالنصفّ أكري في أنهارها وأصلحها وأعمرها فقال علي لابأس [٥٦] .

وكذلك نهج الإمام علي عليه السلام في سياسة الخراج، جعل الخراج وسيلة مهمة للإصلاح الزراعي، يقول الامام علي للآشتر والي مصر، وتفقد أمر الخراج بما يصلح أهله[٥٧] أي بما يصلح القطاع الزراعي، ويزيد من انتاجيته، أذ هو عند الإمام القاعدة الأساسية لإنتاج، وجميع القطاعات الأخرى تقوم عليه، وكذلك خفض العبى الضريبي عن المزارعين، يقول الإمام ولا يثقلن عليك شيء خففت به المؤنة عليهم فإنه ذخر(أي إدخار يعودون به عليك، يستثمرونه في أرضهم) فيعود عليك في عمارة بلدك[٥٨]، وحض عليه السلام ولاته على أخذ الحق في الخراج كما قال لقيس بن سعد فأقبل على خراجك بالحق[٥٩]. واتباع سياسة التحذير لمن يؤخر الخراج من العمال، وسياسة التحفيز لمن يوفيه، وكان قد كتب إلى يزيد بن قيس الأرحبي: (أما بعد، فإنك أبطأت بحمل خراجك، وما أدري ما الذي حملك على ذلك، غير أني أوصيك بتقوى الله وأحذرك أن تحبط أجرك وتبطل جهادك بخيانة المسلمين، فاتق الله ونزه نفسك عن الحرام، ولا تجعل لي عليك سبيلاً، فلا أجدبداً من الإيقاع بك[٦٠] وكتب إلى سعد بن مسعود وهو على المدائن:(أما بعد، فإنك قد أديت خراجك، وأطعت ربك، وأرضيت إمامك، فعل المبر التقي النجيب، فغفر الله ذنبك، وتقبل سعيك وحسن مآبك)[٦١] .

أن اهتمامه في مسألة الحفاظ على إعمار الأراضي أكثر من أمر الخراج واعتبار الخراج مورداً رئيساً بل ومصدراً أساساً لبيت المال الذي تعتمد عليه الدولة في تمويل حاجاتها الاقتصادية، وإن الإضراربه يؤثر على حياة الناس، وربما يؤدي إلى هلاكهم من حيث ذهابُ مورده الغذائي وريعه المالي للطوارئ (الأزمات) أحكامها الخاصة بما ينسجم مع واقعها.

إذا كان تخفيف الخراج عند الحاجة إليه مقترناً بالعمل على عمارة الأرض وعدم تحويلها إلى أرض موات يؤدي إلى نتيجة واحدة وهي إعادة ما نقص من بيت المال فلماذا لا يتم ذلك مع المحافظة على الثروة الاقتصادية للبلاد؟ وخاصة بزوال سبب إضعاف مورد بيت المال كما ظاهر الأمر.

وكما بين الإمام في هذا العهد دور اي طبقة من طبقات السكان، كالعسكريين والقضاة والموظفين والصناعيين والمزارعين والتجار، في صناعة التنمية، وتحقيق التقدم، محدداً واجبات الدولة في دعمهم والتعامل معهم، يقول: (واعْلَمْ أَنَّ الرَّعِيَّةَ طَبَقَاتٌ لا يَصْلُحُ بَعْضُهَا إلا بِبَعْضٍ ولا غِنَى بِبَعْضِهَا عَنْ بَعْضٍ)[٦٢].

ويؤكد على اختيار موظفي الدولة بناءً على الكفاءة والخبرة، وليس بدافع المحسوبية والاستئثار الفئوي، ثم متابعة الإشراف والرقابة عليهم، حتى لا يقصروا في مهامهم، ولا يسيئوا استخدام مواقعهم، يقول:(ثُمَّ انْظُرْ فِي أُمُورِ عُمَّالِكَ فَاسْتَعْمِلْهُمُ اخْتِبَاراً ولا تُوَلِّهِمْ مُحَابَاةً وأَثَرَةً ... ثُمَّ تَفَقَّدْ أَعْمَالَهُمْ وابْعَثِ الْعُيُونَ مِنْ أَهْلِ الصِّدْقِ والْوَفَاءِ عَلَيْهِمْ فَإِنَّ تَعَاهُدَكَ فِي السِّرِّ لِأُمُورِهِمْ حَدْوَةٌ لَهُمْ عَلَى اسْتِعْمَالِ الأَمَانَةِ والرِّفْقِ بِالرَّعِيَّةِ)[٦٣]. ومما يدلل على هذه السياسة المالية خطابه رضي الله عنه لولاته ومن ذلك: استعمل علي بن أبي طالب[٦٤] رضي الله عنه رجلاً على عكبراء[٦٥]، يقول ذلك الرجل فقال لي علي وأهل الأرض معي يسمعون: انظر أن تستوفي ما عليهم من الخراج، وإياك أن ترخص لهم في شيء إنما أوصيك بالذي أوصيتك به قدام أهل عملك لأنهم قوم خدع، انظر إذا قدمت عليهم فلا تبيعن لهم كسوة شتاء ولا صيفاً، ولا رزقا يأكلونه، ولا دابة يعملون عليها، ولا تضربن أحداً منهم سوطاً واحداً في درهم، ولا تقمه على رجله في طلب درهم، ولا تبع لأحد منهم عَرَضاً[٦٦]، فإنا إنما أُمرنا أن نأخذ منهم العفو، فإن أنت خالفت ما أمرتُك به يأخُذك الله به دوني وإن بلغني عنك خلافُ ذلك عَزلْتُك، قال قلت إذن أرجع إليك كما خرجتُ من عندك، قال: وإن رَجعتَ كما خرجت. قال فانطلقت فعملتُ بالذي أمرَني به، فرَجعتُ ولم أنْتقصْ من الخراج شيئاً))، وروي عن علي بن ابي طالب انه كان يأخذ الجزية من صاحب البر، براً ومن صاحب المال مالا ومن صاحب الحبال حبالا "ولا يأخذ فيها خمراً ولا ...، ولا يباع في الجزية بقرهم ولا حميرهم ولا مواشيهم[٦٧].

وكانت سياسته في اموال الدولة، عظيمة في زهده عنها وتجنبه لشبهاتها، حريصا على أن لا ينال منها أحد إلا حقه وألا يسأل منه إنسان فوق ما يستحقه قيده شديدا على الولاة والعمال في هذ الأمر [٦٨]، فقد روى أن أخاه عقيلا طلب إليه شيئا من بيت المال، لم ير الامام علي عليه السلام أن له حقا فيه فمنعه من ذلك وقال له: ليس لك في هذا المال غير ما أعطيت ولكن اصبر حتى يجيء مالى فأعطك منه وكان في هذا الأمر شديدا حتى على نفسه، ولكنه كان رفيقا على الرعية في جمع المال، حريصا على برهم وعدم أخذهم إلا بما يستطيعون جادا في إصلاح أرضهم وحالهم و توفير الرخاء واليسر لهم، وكان يقسم ما يكون في بيت المال كل جمعة حتى لا يترك فيه شيئا ليصل كل حق إلى صاحبه من غير تسويف أو إبطاء، وكان لعلي أرضون تغل غلة وفيرة فكان يقسمها على الفقراء والمحتاجين ويكتفي بالكفاف لنفسه.

ومن هنا نرى أن امير المؤمنين رضي الله عنه كان يسير في الأموال وجمعها والمتعة بها وتوزيعها، ولذلك كان عمر يقول: فيه (والله أنه أحرى أن يحملكم على الحق) وقول عمر هذا يدلنا على ما كان علي – من زهد في المال وإعراض عنه وفي تطبيق العدالة[٦٩].

وكان الامام علي عليه السلام يشعر بالهم والقلق من وجود حالة فقر في المناطق البعيدة عن مقرّ خلافته، يقول: (ولَوْ شِئْتُ لاهْتَدَيْتُ الطَّرِيقَ إِلَى مُصَفَّى هَذَا الْعَسَلِ، ولُبَابِ هَذَا الْقَمْحِ، ونَسَائِجِ هَذَا الْقَزِّ، ولَكِنْ هَيْهَاتَ أَنْ يَغْلِبَنِي هَوَايَ، ويَقُودَنِي جَشَعِي إِلَى تَخَيُّرِ الأَطْعِمَةِ ولَعَلَّ بِالْحِجَازِ أَوْ الْيَمَامَةِ مَنْ لا طَمَعَ لَهُ فِي الْقُرْصِ، ولا عَهْدَ لَهُ بِالشِّبَعِ[٧٠].

لم يكن كرم الله وجهه بالحريص على تعبئة وتخزين بيت المسلمين، بل كان زاهداً الدنيا، ولو كان ذلك سيؤثر على خفض الاحتياطي المالي: حيث قالوا له يوماً: يا أمير المؤمنين امتلأ بيت مال المسلمين من صفراء وبيضاء، فقال الله أكبر ثم قام على بيت مال المسلمين وقال بعد أن وزع كل ما في بيت المال (يا صفراء يا بيضاء[٧١] (غرّي غيري) وأمر بنضحه وصلى ركعتين، وفي **رواية** أخرى أنه كان يكنس بيت المال ثم يصلي فيه ويتخذه مسجداً رجاء أن يشهد له أنه لم يحبس فيه المال عن المسلمين[٧٢].

ويمكننا أن نلحظ أن توجهات الإمام في تحقيق التنمية الإنسانية في أبعادها المختلفة في مدينة الكوفة، قال: السيد حسين البراقي، في كتابه تاريخ الكوفة (ما أصبح بالكوفة أحدٌ إلا ناعماً)، أي يعيش النعمة، يتمتع بالنعم، أو من النعومة بمعنى: الرخاء، وكانت الكوفة واسعة كبيرة تتصل قراها وجبّاناتها إلى الفرات الأصلي وقرى العذار فهي تبلغ ستة عشر ميلا وثلثي الميل، قال ياقوت في المعجم: ذكر أن فيها من الدور خمسين ألف دار للعرب من ربيعة ومضر، وأربعة وعشرين ألف دار لسائر العرب، وستة آلاف دار لليمن[٧٣] يوصي عليه السلام: (ثم

اسبغ– أي أوسع– عليهم الأرزاق– بإعطائهم مقدار حاجاتهم في رفاه– فإن ذلك– الإسباغ– قوّة لهم على استصلاح أنفسهم– فمنْ صلح حاله لا يفكّر إلا في عمله... [٧٤]، فالرفاه المتناسب مع الحاجة يساعد على إصلاح الفرد لحاله وذاته وتفعيل أدائه، ويحول دون ظلم الآخر وتفشّي الأحقاد.

فالرفاه ينعش التعايش، ولضمانها لابدّ من تنمية مستدامة، والحاجة والعوز تقودان إلى الخراب، والتعويل على الضرائب دون رفع الإنتاج والأرباح يضرّ بالبلاد ويهلك العباد، وكيف لا تكون النتائج كذلك؟

ويضيف الامام علي عليه السلام في هذا الاتجاه ما يزيد الصورة وضوحاً: (... وإنما يوتى خراب الأرض من إعواز أهلها...) وكان رضي الله عنه يتبع سياسة الإغناء للرعية عند توفر أسباب ذلك فكلما جاء بيت المال موارد جديدة أعطاهم ومن ذلك ما يُروى[٧٥]، أنه أعطى العطاء في سنة ثلاث مرات، ثم أتاه مال من أصبهان [٧٦] فقال: اغدوا إلى عطاء رابع وإني لست بخازنكم، فأخذها قوم وردها قوم، وخطب علي رضي الله عنه في الناسَ فقال: "أيها الناس، والله الذي لا إله إلا هو، ما زريت[٧٧] من مالكم قليلاً ولا كثيراً إلا هذه" وأخرج قارورة من كم قميصه فيها طيب وقال: أهدى إلي دهقان[٧٨] وقال: ثم أتى بيت المال وقال: خذوا، وأنشأ بالقول: أفلح من كانت له قوّصرة [٧٩] يأكل منها كل يوم تمرة[٨٠]، وبين أمير المؤمنين أهمية الصناعة وحث على تعلم المهن، واعتبار حرفة المرء كنزُ، وأن الناس لا يسألون في كم فرغ من العمل، إنما يسألون عن جودة صنعته[٨١].

وكان موقفه من التجار الذميين الذين يدخلون الدولة الإسلامية، كموقف عمر بن الخطاب فقد أثر على الإبقاء على النظام الذي وضعه عمر في العشور، كتب أبو موسى الأشعري إلى عمر بن الخطاب أن تجاراً من قبلنا يأتون ارض الحرب فيأخذون منهم العشر، قال فكتب أليه عمر بن الخطاب "خذ أنت منهم كما يأخذون من تجار المسلمين"[٨٢] كما أن الإمام عليا كان يوفر الأمن للتجار الذين يجلبون الأرزاق إلى الدولة، ويمكن أن يتم في ظل قيام الدولة الإسلامية في العصر الحاضر من خلال (الفيز) أو تصاريح لدخول البضائع إلى الدولة الإسلامية من الدول الأخرى، وفي هذا تشجيع نشاط، الحركة التجارية في الدولة، وروى أنه رد بعض العشور التي كانت تؤخذ زمن الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه من التجار الذميين"[٨٣].

والراجح أن هؤلاء التجار كانوا يجلبون إلى المدينة الأقوات من السلع التي لم تتوفر في أسوق المدينة، ويؤيد هذا أنه حث الولاة على مراعاة التجار الذين يجلبون الأقوات من المناطق البعيدة "فإنهم أي التجار جلاّب المنافع من المباعد والمطارح".

وكان عليه السلام يمارس مراقبة الأسواق ويطوف في أسواق الكوفة كل يوم ويحث التجار والباعة على أن لا يظلموا الناس والقضاء على التلاعب ومضاربات السوق، لما لها من انعكاسات سلبية على الوضع الاقتصادي للمجتمع، مصدقا لقول: رسولنا الكريم (صلى الله عليه وآله)" الجالب مرزوق، والمحتكر ملعون"(٨٤).

ولعل من الروايات التي تسلط الضوء على جانب من المعاملات المالية بين الرسول(صلى الله عليه وآله وصحبه)، وبعض اليهود والتي اشارت الى أسلوب التعامل السلمي والأخلاقي هو ما نقله الإمام موسى بن جعفر(رضي الله عنه)عن أبيه عن آبائه عن أمير المؤمنين(رضي الله عنه وكرم وجهه) ((في حديث اليهودي الذي كان له على الرسول(صلى الله عليه وآله) دنانير فتقاضاها بها، وقال لا أفارقك حتى تقضيني، فجلس معه رسول الله (عليه افضل الصلاة) حتى صلى في ذلك الموضع الظهر والعصر والمغرب والعشاء والصبح، وقال: لم يبعثني ربي أن أظلم معاهدا ولا غأه، فلما علا النهار أسلم اليهودي، وقال هذا شطر مالي في سبيل الله)) (٨٥)، ويمكن القول أن لهذه الرواية ونظائرها حضور جلي في فتاوى الفقهاء المعاصرين، والتي تترجم لنا ماهية التعامل المالي والحقوق المترتبة عليه بالنسبة لأهل الذمة كتصريح بعض الفقهاء بأن الأرض الموات، وان كانت ملكاً للإمام (ع)، ولكن يجوز إحياؤه، ولو أحياه شخص كان أحق به من غيره، ولم يفرّق بين المحيّ مسلما كان أم كافراً، في دار الإسلام، أم دار الحرب، خلاصة القول إن الإسلام ـ ومن خلال التطبيق العملي لمفهوم التعاون والتعايش سبق علماء الاجتماع الذين أكدوا في نظرياتهم أن الدين هو أحد مقومات التجانس الاجتماعي(٨٦).

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته وتوفيقه لعباده يتم صالح الأعمال ... في ختام هذا البحث الذي تناول (أثر التعاون والتعايش السلمي عند الإمام علي (عليه السلام) في التنمية الاقتصادية، وبعون الله وتوفيقه خرجت بجملة من النتائج والتي يمكن أجمالها بالنقاط الأتية:

أولاً: إن التعاون والتعايش مبدأ من مبادئ الإسلام تكفلت السيرة النبوية للرسول الكريم سيدنا محمد عليه وعلى آله افضل الصلاة والسلام العطرة ببيانه تنظيرا وتطبيقا، التي حاربت التمييز القائم على أساس الجنس أو الدين أو القومية، وتوظيفها باتجاه الحد من التطرف والإرهاب والغزو الذي بات العدو الأول للإسلام.

ثانيا: أن الحكومة إمام علي (عليه السلام) كانت حكومة دينية متكاملة تعتمد على الرؤية الإلهية الشمولية لحياة بالرجوع إلى النص القرآني والنص النبوي وهذا لا يعني بالضرورة عدم إعمال الاستشارة والخبروية البشرية من قبل المتخصصين في تلك الدولة وخصوصاً في المجال العسكري والاداري والاقتصادي، وأعتمد على العناصر الكفوءة المؤمنة واصحاب السمعة الجيدة في الوسط الاجتماعي والسياسي والذين كان لهم بعد ذلك دور كبير في إدارة مؤسسات الدولة أمثال مالك الاشتر وعبد الله بن عباس رضي الله عنهما وغيرهم من الوجوه المعروفة بالورع والإيمان، ثم انه من الركائز الأخرى التي انتهجها هو عدم انحجابه عن الناس والجلوس لسماع مشاكلهم مع السلطة والموظفين مما يكون ذلك سبباً للمتابعة

ثالثا: إن مبدأ التعاون والتعايش يمثل نظرية اجتماعية تعكس الجانب الإنساني للإسلام والتعامل الانساني والحضاري مع غير المسلمين من أهل الكتاب وعن عالمية الشرع الحنيف، الذي يضمن لهم حرية العيش والدين، وعلى أهمية احترام أموال وثروات بيت مال المسلمين باعتباره المؤسسة الاقتصادية المسؤولة عن تزويد أفراد المجتمع بحقوقهم المالية المقابلة لواجباتهم في المجتمع.

رابعا: لقد تضمنت الوثيقة (العهد) التي بعث بها الإمام علي(عليه السلام) إلى مالك الاشتر (رض) والي مصر أهم الأفكار والمفاهيم السياسية والاقتصادية وشؤون الحكم والإدارة بل من أهم الركائز الفكرية والسياسية والادارية التي بعث بها الإمام إلى أحد ولاته التي يجب أن ينتهجها الحكام في كل عصر على أساس المنطلقات الإنسانية الإسلامية التي تهدف إلى تنظيم الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية تنظيماً دقيقاً وبناء العلاقات الداخلية في المجتمع الإسلامي على أساس العدل والحرية والمساواة سواءً كان تعامل الحاكم مع

الرعية أو مع رجال السلطة وفق سياسة تكفل للجميع الاستقرار والتقدم، وكما يوضح أسس العلاقات الخارجية مع العدو والصديق بشكل يحفظ للأمة كرامتها وعزتها واستقلالها التام.

خامسا: أن سياسة الاقتصاد التنموي التي قام بها امير المؤمنين علي كرم الله وجهه كانت تتخللها عملية تفاعل بينه وبين الإداريين ولاة الأقاليم، وبين الولاة والرعية، بغية تحقيق موازنة اجتماعية، ومعرفة واجبات كل طرف، وتوزيع الوظائف وفق الكفاءات والقدرات، كإجراء سياسي اقتصادي الهدف من ورائه إرجاع الحقوق إلى مستحقيها.

سادسا: شكل الامام علي (عليه السلام) دولة قائمة على النظام المركزي وهو خضوع المرؤوس للرئيس وتلقي تعليماته وتنفيذها من جهة أخرى (نظام اللامركزية) بحيث يتمتعون العمال الموظفون بصلاحيات واسعة جداً تخولهم اتخاذ القرار السياسي ولكن الخليفة يستطيع أن يتدخل في كل وقت في هذه الصلاحيات، تخضع لنظام تشريعي مركزي من قبل الحكومة الموجودة في العاصمة التي يقيم فيها الإمام علي وهي الكوفة آنذاك وكذلك يوجد تسلسل هرمي متسلسل في السلطة تتمثل في خليفة المسلمين وهو الإمام علي(عليه السلام) الذي يصدر القرارات التشريعية ثم تنزل إلى السلطة التنفيذية والقضائية .

سابعا: أن من جملة الأهداف التي سعى الإسلام لتحقيقها من وراء العمل بتلك الأحكام هو تركيز معاني العدل بين كل الذين يعيشون في فناء العالم الإسلامي، فقد أوجب الزكاة على المسلمين، حفظا لأموالهم، وعونا لفقرائهم، أما غير المسلمين فقد نُظمت شؤونهم الاقتصادية وفق أحكام خاصة بهم سُميت بـ (أحكام أهل الذمة)، التي أوجبت عليهم الجزية، وهي أشبه ما تكون بالجزاء المادي الذي تأخذه الدولة في مقابل الخدمات التي توفرها لغير المسلمين المتمثلة في توفير السكن والأمان على أنفسهم وأموالهم والحرية وسواها.

ثامنا: إن العالم اليوم أحوج ما يكون الى استجلاء سيرة النبي(صلى الله عليه وآله وصحبه) وال البيت عليهم السلام، الذي كرّس جميع متطلبات ودعائم التعايش وما ينعشه ويضمنه بصورة مستدامة مثل: القسط، العدل، العفو، الصفح، الانصاف، إحقاق الحق، نفي الظلم، حسن الظن وما إلى ذلك، وتوظيفها باتجاه الحد من التطرف والإرهاب والغلو والسيطرة الاستعمارية الذي بات العدو الأول للإسلام.

تاسعا: العبادة للخالق وحده لا للمال: إذ قال النبي الكريم(صلى الله عليه وسلم)(تعس عبد الدينار، وعبد الدرهم، وعبد القطيفة تعس وانتكس)، وأيقن علي (عليه السلام)أن رسالة الإنسان في هذه الحياة أن يقيم على الأرض حضارة قوامها سلطان الله تعالى، الذي

يتحرر به البشر – كل البشر – من أي عبودية لبشر ظالم، أو شهوة مهلكة، والمال وسيلة لا غاية، يعبر القرآن عن المال بـ(الخير) لابد من أن يحصل عليها كل انسان مع المأكل(الطيبات) والملبس(الزينة) والمسكن(السكن)،لأن الإنسان إن افتقد هذه الضروريات انتقصت كرامته وأذله الفقر. قال علي (عليه السلام) (لوكان الفقر رجلاً لقتلته)، ومنع الإسلام تكديس الثروة في أيدي عدد من الناس، قال تعالى(كى لا يكون دُولة بين الاغنياء منكم).

الهوامش

References

(١) عبده، محمد: شرح نهج البلاغة للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، منشورات مكتبة النهضة، (بغداد/ ١٩٨٤م)، صـ١٥٧.

(٢) الجزري: الجامع لأصول أحاديث الرسول (صلى الله عليه وآله) تحقيق، عبد القادر الارنؤط، مكتبة الحلواني، مطبعة الملاح (دار البيان/ ١٩٧٢م)، رقم٥٤١٢، جـ٣، صـ٦١٣.

(٣) مسلم: صحيح مسلم، كتاب الأدب، دار احياء التراث العربي، (بيروت/ ٢٠١٠م)، رقم،٤٦٩١، جـ١٥، صـ١٤٠.

(٤) جرداق، جورج: الإمام علي صوت العدالة الإنسانية، ط١، دار مكتبة صعصعة، (البحرين/٢٠٠٣م)، جـ١، صـ٩٩.

(٥) نهج البلاغة لأمير المؤمنين(ع)، خطبة رقم ٢٠٧.

(٦) القاضي النعمان: دعائم الإسلام، ط١، مؤسسة النور للمطبوعات، (بيروت/ ١٤٢٦هـ) جـ١صـ٣٦٣، وبرزت قوى معارضة للإمام (عليه السلام) بعد توليه الخلافة مباشرة دخل معها في حروب عدة، لكنه ظل مصرا على استمرار سياسته التنظيمية ذات الركائز الأخلاقية المتسامحة.

(٧) المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، المجلد(٢)، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد،ط٤،مطبعة السعادة، (مصر/ ١٩٦٤م)، صـ٤٠٥-٤٠٩.

(٨) توينبي، أرنولد: الحرب والحضارة، ترجمة، فؤاد أيوب، دار تحقيق للطباعة والنشر، (د.ت)، صـ٢٣.

(٩) جاسم، عزيز السيد: علي بن أبي طالب سلطة الحق، ط١، مؤسسة الانتشار العربي، (بيروت/١٩٩٧م)، صـ١١٣.

(١٠) أبن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم، الدار اللبنانية للنشر، (بيروت/٢٠٠٨م)، جـ٧، صـ٢٥، مجذوب، احمد، السياسة المالية في الاقتصاد الإسلامي دراسة مقارنة مع الاقتصاد الرأسمالي، مطابع السودان (الخرطوم/٢٠٠٣م) صـ٥٩.

(١١) أبو داود، سنن أبي داود: تحقيق، محمد عبد العزيز، دار الكتب الاسلامية، (بيروت/ ٢٠٠٥م)، صـ٤٤٠.

(١٢) عبده، نهج البلاغة، صـ٣١.

(١٣) المصدر، نفسه، صـ١٩٢.

(١٤) م، ن، صـ ٢٨.

(١٥) كحالة، عمر رضا: معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، ط٢، نشر دار العلم للملايين (لبنان/ ١٩٦٨م)، جـ١، صـ٥٠.

(١٦) الطوسي: المبسوط، تحقيق محمد الباقر البهبودي، ط٢، المطبعة الحيدرية (طهران/ ١٣٨٨هـ)، جـ ٤، ٦٧.

(١٧) هشام الحميري، السيرة النبوية، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، (بيروت/١٣٨٣هـ)، جـ٢، صـ ٣٥٠.

(١٨) الطبراني، كتاب الدعاء، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ط١ دار الكتب العلمية – بيروت – (لبنان/١٤١٣هـ)، صـ٣٤٧.

(١٩) المرعشي، شرح إحقاق الحق، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي– قم– ايران، جـ١١، صـ١٢٢، محمد عبده. نهج البلاغة، جـ٢، صـ٣٠.

(٢٠) أبن أبي الحديد، نهج البلاغة، جـ٧،صـ٢٥.

(٢١) عبده، نهج البلاغة لأمير المؤمنين(ع)، صـ ٥٣٣، الحكمة ٣٢٨.

(٢٢) عبده، نهج البلاغة، صـ٣٦٩.

(٢٣) صالح، أحمد عباس، اليمين واليسار في الإسلام، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (بيروت/١٩٧٩م)، صـ١١٧، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبي، تحقيق، عبدالله عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، (بيروت/٢٠٠٦م)، جـ١٠، صـ٣٦٤-٣٦٥.

(٢٤) لوبون، غوستاف، حضارة العرب، صـ١٢٨.

(٢٥) الساعدي، رحيم محمد: الاتجاهات الفكرية عند الإمام علي (عليه السلام)، أطروحة دكتوراه (غير منشورة)، صـ١٩٣-٢٢٢.

(٢٦) الطوسي: تهذيب الأحكام، الطبعة الثانية، دار الكتب الإسلامية، النجف، جـ ٦، صـ٢٩٢، حديث رقم٨١١.

(٢٧) المجالسي، محمد: بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الائمة الاطهار، دار الكتب الإسلامية، اصفهان، طهران، جـ ٩٧– صـ ٢٩١.

(٢٨) جرداق، جورج: الإمام علي صوت العدالة الانسانية، جـ ١، صـ ٧٠.

(٢٩) رباطة جأش: يربط نفسه عن الفرار، ويكفها لجرأته وشجاعته، أنظر، ابن منظور: لسان العرب، تحقيق، الشدياق، مطبعة بولاق (القاهرة/١٨٨٢م)، جـ٦، صـ٢٦٩.

(٣٠) صالح، صبحي: نهج البلاغة لأمير المؤمنين علي بن ابي طالب، دار الكتب (لبنان/١٣٨٧هـ)، صـ٣١٧.

(٣١) الجنيدي. محمد: قواعد التنمية الاقتصادية في القانون الدولي، دار النهضة، (القاهرة/١٩٨٥م)، صـ٢٨.

(٣٢) الخصاصة، أصلها الفقر، أنظر، أبن منظور، لسان العرب، جـ٧،صـ، ٢٥.

(٣٣) صالح: نهج البلاغة، صـ، ٢٣.

(٣٤) أويس، كريم محمد: المعجم الموضوعي لنهج البلاغة، صـ٣٠٥.

(٣٥) ابراهيم، يوسف: المنهج الاسلامي في تحقيق التنمية الاقتصادية، ١٩٨٧م، صـ٣٥٢.

(٣٦) صالح: نهج البلاغة، صـ٣٩٨.

(٣٧) ابن أبي الحديد: الأنف المختار في نهج البلاغة، صـ٢٥٤.

(٣٨) الجنديل: مناهج الباحثين في الاقتصاد الإسلامي، شركة العيكان للطباعة، (جدة/١٤٠٦هـ)، جـ٢، صـ٢٧٢.

(٣٩) صالح، صبحي: نهج البلاغة. صـ٤٩٦.

(٤٠) اويس: المعجم الموضوعي لنهج البلاغة، صـ٢٣.

(٤١) المجلسي: بحار الأنوار، جـ١٠ صـ٥١.

(٤٢) الآصفي: الثقافة القيادية والإدارية عند أمير المؤمنين علي (ع)، دارة مكتبة الحياة، صـ ١٥.

(٤٣) الشيخ المفيد: الاختصاص، ط٧، مؤسسة النشر الإسلامي، (قم/ ١٤٢٥ هـ)، صـ١٦٠.

(٤٤) زين، الياس: تنمية القدرة الذاتية للوطن العربي، مجلة قضايا عربية، بيروت، العدد ٦، السنة العاشرة، (لبنان/ ١٩٨٣م)، ص١٤٠ عبد، حسن إبراهيم، دراسات في التنمية الاجتماعية، دار المعرفة، الإسكندرية، (مصر/١٩٨٤م)، صـ١٦٠.

(٤٥) القصيفي، جورج: التنمية البشرية مراجعة نقدية للمفهوم والمضمون، في كتاب التنمية البشرية في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، (لبنان/ ١٩٩٥م)، صـ٨١.

(٤٦) ابن خلدون، مقدمة أبن خلدون، دار مكتبة الهلال، (بيروت/١٩٨٦م) صـ٢٤١.

(٤٧) أبو يوسف، الخراج صـ٣٥.

(٤٨) ابن كثير: البداية والنهاية في التاريخ، تحقيق، أحمد أبو ملحم وآخرون، طبع مكتبة المعارف، (بيروت/١٩٩٦م)، جـ٨ صـ٢. الإمام احمد بن حنبل، المسند، مؤسسة قرطبة، القاهرة، (د–ت) مسند علي بن أبي طالب جـ ١، صـ٧٨.

(٤٩) الصلابي، علي: علي بن أبي طالب، ط١، دار الفجر للتراث– ١٤٢٥هـ، جـ ١ صـ١٧٧.

(٥٠) مالك الأشتر: هو ابن الحارث بن عبد يغوث بن مسلمة النخعي كان من فرسان العراق وزعمائها، شخصية نادرة في التاريخ الإسلامي ومن الأبطال البارزين، جمع الفصاحة والشجاعة، شهد وقعة اليرموك وشترت عينه، أي استرخى جفنها، وقيل: شترت في حروب الردة، سكن الكوفة ولد قبل الإسلام بقليل،ابن اثير: الكامل في التاريخ، تحقيق، عمر عبد السلام التدمري،ط٣، دار الكتب العربي (١٤٢٧هـ–٢٠٠٦م)، جـ٣، صـ٣٦، ولما رجع علي عليه السلام من موقعة صفين، جهز الأشتر واليا على ديار مصر، توفي سنة (٣٩هـ)، مسموماً ولما بلغ ذلك سيدنا علي رضي الله عنه قال على مثله فلتبك البواكي، الذهبي: سير أعلام النبلاء، شعيب الأرناووط صالح محمد عباس،ط١،مؤسسة الرسالة(بيروت/١٤١٤هـ)، جـ٤ ص ٣٤.

(٥١) ابن آدم: الخراج، المطبعة القاهرة، (مصر/١٣٤٧هـ) صـ٦٣، صبحي الصالح، نهج البلاغة، صـ ٤٣٤.

(٥٢) أبن قدامه: المغني، ط٣، طبعة ادارة المختار، ١٣٦٧هـ، جـ٨، صـ٢٣٨.

(٥٣) عوز: الشيء عوزاً عزو لم يوجد مع الحاجة إليه، والرجل احتاج واختلت حاله، فهو أعوز وهي عوزاء، الطبراني: المعجم الوسيط، تحقيق، طارق بن عوض الله، دار الحرمين، (القاهرة/ ١٤١٥هـ) جـ٢ صـ١٢٨.

(٥٤) ابن آدم، الخراج، صـ٦٣.

(٥٥) أبن قدامه، المغني، جـ٨، صـ٢٣٨.

[٥٦] أبن قدامه: المغني، جـ٨، صـ٢٣٨، عبد الرزاق: المصنف، تحقيق، حبيب عبد الرحمن الاعظمي، ط٢، المكتبة، الاسلامية، (بيروت/ ٢٠١٢م)، جـ٨، صـ٩٩.

[٥٧] صبحي صالح، نهج البلاغة، صـ٣٤ ٤.

[٥٨] م، ن، صـ ٤٣٤.

[٥٩] قيس بن سعد بن عبادة: سيد الخزرج وابن سيدهم الأنصاري الخزرجي الساعدي، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن صحابه استعمله النبي صلى الله، له عدة أحاديث، شهد فتح مصر وكان واليا عليها لعلي عليه السلام توفي قيس في آخر خلافة معاوية، الذهبي، سير أعلام النبلاء جـ ٣ صـ١٠٢.

[٦٠] الصلابي، علي بن أبي طالب، جـ ١صـ٤٣٩.

[٦١] اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، مجلد (٢) دار بيروت للطباعة والنشر (لبنان/١٩٨٠م)، صـ ١٧٩.

[٦٢] نهج البلاغة، خطبة رقم،٢٠٧، الصالح، صبحي، نهج البلاغة، ص٣١٧.

[٦٣] الصالح، صبحي: نهج البلاغة، ص٣١٧ .

[٦٤] أبو يوسف: الخراج، مطبعة القاهرة،١٣٨٢هـ، ص١٥.

[٦٥] عكبراء: مدينة على نهر دجلة في العراق ذكرها، الطبري، في تاريخ الأمم والملوك، ط١، دار الكتب العلمية (بيروت/١٤١٧هـ) جـ٤ ص٣٣٩.

[٦٦] عرَضاً: شيء من الخراج، وَهِيَ مَا سِوَى الْحَيَوَانِ وَالْعَقَارِ، وَمَا لَا يَدْخُلُهُ كَيْلٌ وَلَا وَزْنٌ. عيسى، عَبده، النظم المالية في الاسلام، معهد الدراسات الإسلامية، (القاهرة/٢٠٠٢م)، صـ١٥٦، تحفة الأحوذي للمباركفوري باب ما جاء في أن الغني غني النفس جـ٧ صـ ٣٥.

[٦٧] الصولي: أدب الكتاب، تصحيح وتعليق محمد بهجة الاثري، صـ٢١٥، اليوزبكي: توفيق سلطان، دراسات في النظم العربية الإسلامية، (الموصل/١٩٧٩م)، صـ١٥.

[٦٨] عَبده، النظم المالية في الاسلام، صـ١٥٥.

[٦٩] عبده، النظم المالية، صـ١٥٩.

[٧٠] صالح، صبحي، نهج البلاغة. ٣٩٨.

[٧١] يا صفراء يا بيضاء: الصفراء الذهب والبيضاء الفضة، ينظر: الخطابي، غريب الحديث، جامعة أم القرى، مكة المكرمة١٤٠٢هـ، جـ ١ صـ٥٦٣.

[٧٢] السيوطي: تاريخ الخلفاء، تحقيق، محمد محي الدين عبد المجيد، ط١، مطبعة السعادة (١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م)، صـ١٣٥، الصلابي، علي بن أبي طالب، صـ٢٥٢.

[٧٣] البراقي: حسين، تاريخ الكوفة، ط٢، المطبعة الحيدرية، (النجف الأشرف/١٩٦٠م)، صـ١٣٤.

[٧٤] عبده، نهج البلاغة لأمير المؤمنين(ع)، خطبة رقم ٢٠٧.

[٧٥] ابن كثير، البداية والنهاية في التاريخ، جـ ٨ صـ ٢٠.

[٧٦] أصبهان: مدينة بفارس سميت بأصبهان بن نوح وهو الذي بناها، وقيل سميت أصبهان لأن أصبه بلسان الفرس البلد وهان الفرس، معناه بلد الفرسان، وذُكر أنها اثنتا عشرة مدينة بعضها قريب من بعض والمتميزة منها بالشهرة جي وشهرستان، ينظر: الحميري، الروض المعطار في خبر الاقطار، تحقيق، إحسان عباس،ط٢،مؤسسة ناصر (بيروت/١٩٨٤م) صـ٤٣ .

(٧٧) زَرَى : بالفتح زَرْياً وزِرايةً ومَزْرِيةً ومَزْراةً وزَرَياناً عابه وعاتَبه والإزراء التَّهاوُن بالشيء يقال أَزْرَيْت به إذا قَصَّرْتَ به وتَهاوَنْتَ وازْدَرَيْته أَي حَقَّرته، ابن منظور، لسان العرب جـ١٤ صـ ٣٥٦.

(٧٨) دهقان: تعني التاجر في الفارسي وهي كلمة معربة عند: ابن منظور، لسان العرب جـ ١٣ صـ ١٦٤، وتعني رئيس القرية عند: الجزري، المبارك محمد، النهاية في غريب الحديث والأثر، المكتبة العلمية (بيروت/ ١٣٩٩هـ)، جـ ٢صـ١٤٥.

(٧٩) القَوْصَرَة والقَوْصَرَّةُ :مخفف ومثقل وعاء من قصب يرفع فيه التمر، ابن المنظور، لسان العرب، باب قصر، جـ٥، صـ٩٥.

(٨٠) الصلابي، علي بن أبي طالب، جـ ١، صـ١٧٧.

(٨١) ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، جـ٢٠، صـ٣٧٦.

(٨٢) ابن قدامه، المغنى، جـ١٠، صـ٥٩٨.

(٨٣) أ بن أبي شيبه: المصنف، تحقيق، كمال يوسف الحوت، ط١، الناشر مكتبة الرشيد (الرياض/١٤٠٩م) جـ١١، صـ١٤٤.

(٨٤) الطوسي، تهذيب الأحكام، جـ٧، صـ١٤٤.

(٨٥) الحر العاملي: الجواهر السنية في الأحاديث القدسية، المطبعة: النعمان، (النجف الاشرف/١٣٨٤هـ)، صـ٥٧.

(٨٦) الشلبي، احمد: مقارنة الأديان اليهودية، ط٣، مكتبة النهضة المصرية– القاهرة، ١٩٧٣م، ١١٣، السيد السيستاني، علي، منهاج الصالحين، ط١ مطبعة ستارة، (قم/١٤١٥هـ)، ٢/٢٥٢.